نصوص الوحدة الوطنية فى ثورة ١٩١٩ م

الله فوق الخلق فيها وحدة . . والناس تحت لوائها أكفاء

الدكتور محمد المهدى سيد صديق

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية آداب — سوهاج

عرفت مصر الوحدة الوطنية منذ فجر التاريخ ، وعاشت طوائف الأمة متحابة متضامنة ولقد تفتحت أعيننا فى مصر على السماحة والود ، وهما عندنا من أمر الدين وأسلوب الحياة ، وترتفع المآذن جنبا الى جنب مع أبراج الكنائس ، يحتضن الهلال الصليب فى وحدة هندسية متجانسة ، رائعة فى جلالها ، سامية فى معانيها ، يلتقى الشيخ بالقس ، ويتلقى أبناؤنا العلم فى المدارس والجامعات من أساتذتهم مسلمين ومسيحيين فى ظل وحدة وطنية ومحبة صادقة ، يخوضون المعارك معا ويقدمون أرواحهم فى ساحة الشرف ، فيمتزج على أرضها دم المسلم والقبطى ولا تفرق دمعة الحزن النبيلة بين شهداء مصر مسلمين ومسيحيين ، كما لا تسأل فرحة النصر عمن تحققت على يديه الإنجازات ، ولهم فى المؤتمرات الدولية صوت واحد .

تجلى هذا المعنى واضحا جليا فى ثورة الشعب عام ١٩١٩م . ، فقد نفى الانجليز ستة من زعماء الثورة : أربعة مسلمون واثنان من الأقباط ، وحكموا على سبعة من قادة الثورة بالإعدام : أربعة من المسلمين وثلاثة من الأقباط . اذا تضح لدى بريطانيا بعد فشل سياستها الرامية إلى تفتيت الجبهة الوطنية أنها تتعامل مع كيان واحد ونسيج واحد وعنصر واحد يتمثل فى شعب واحد هو شعب مصر ، فقد سمعنا أصوات القساوسة والمطارنة تدوى فوق منبر الأزهر الشريف

وأصوات علماء الأزهر ترتفع بين أرجاء الكنائس ، لم يكن أحدهم يتميز على آخر ، كان الكل فى واحد ، وهذا الواحد يذوب فى حب مصر التى تحتضنهم جميعا(١) .

ومن أبرز الأمثلة المعبرة عن صدق هذا الحس المرهف ، أثناء أشعتال ثورة ١٩١٩ م . . كلمات ذلك القس سرجيوس عندما وقف على منبر الأزهر يعلن على الملأ: إذا كان الانجليز يتمسكون ببقائهم فى مصر بحجة حماية القبط فأقول لهم: ليمت القبط جميعا وليحيا المسلمون أحرارا . وظل يردد هذا المعنى فى كل مكان تطأه أقدامه فلقد صرخ بأعلى صوته فى ميدان الأوبرا عام ١٩١٩ م . وأمام تمثال إبراهيم : إن كان الانجليز يقولون إنهم باقون لحماية الأقباط ، فليفن الأقباط كلهم ، ولتبق مصر حرة — مستقلة . ورد عليه الشيخ مصطفى القاياتى فى الكنيسة البطرسية بقوله « إذا كان الاستقلال سيؤدى إلى فصم عرى الاتحاد بين المسلمين والمسيحيين فى مصر ، فلعنة الله على هذا الاستقلال» .

وانتقل الشيخ عبد اللطيف دراز للكنائس ووضع الثوار الوطنيون هلالا وصليبا على رقعة العلم .

وكان سعد زغلول حينما كان يحضر اجتماعا قوميا ومعه القمص سرجيوس يقول له أمام جموع المصريين الغفيرة « فليسمعنا خطيب مصر ».

وفى الحقيقة أن أهم إنجاز لثورة ١٩١٩ م . هو توحيد عنصرى الامة ومزجهما فى إطار واحد ، ولم يعد الامر يتعلق بموقف قبطى وموقف مسلم ، وإنما أصبح الشغل الشاغل هو استقلال مصر .

وبات المفهوم المصرى تنظيم الحركة الوطنية المصرية لثورة ١٩١٩ م . واستوعب ذلك التنظيم جمهوره من الاقباط والمسلمين سواء بسواء (٢) .

---

(١) المستقبل العربى أغسطس ١٩٨١ م . العدد (٣٠) ص ٨٩ — ٩٠ يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية .

(1) LLOYd (Lod) Egypt Since Cromer Vol II.PP.1-10) Documents Diplomatiques concernant L'Egypte de Mchemet-Ali Jusou'en 1920. PP. 205- 220.

ووجدنا بيوت العلماء المسلمين تحولت إلى منتديات يؤمها الزوار المصريون مسلمون ومسيحيون ، ونذكر من بينها منزل الدكتور مصطفى عبد الرازق المجاور لقصر عابدين الذى ولى منصب السكرتير العام لمجلس الأزهر الأعلى ، فقد أصبح بيته ،منتدى علم يجتمع فيها شيوخ الأزهر والأدباء وفيهم المسلم والمسيحى العربى والأجنبى ، ومما يذكر له أيضا أنه ألقى محاضرة باللغة الفرنسية فى الجمعية الجغرافية المصرية وهو فى زيه الأزهرى وقال فى ختامها قولته المشهورة « الدين واحد والشرائع تختلف » . فصفق له الاجانب رجالا ونساء ، حتى راحت فضليات النساء الأجانب يصحن ، ما أجمل هذا الشيخ وأظرفه ، ويالعلمه وأفقه البعيد(١).

لم يكن ذلك هو المثل الوحيد المعبر عن أمر ظاهرة الوحدة الوطنية ، فلقد تعددت الأمثلة فى كل موقع من مواقع هذا البلد الأمين ، وذلك حينما أراد المستعمرون أن يشدوا إلى جانبهم (واصف غالى) أمين صندوق وفد سعد زغلول فقالوا له كيف تكون مع أولئك الذين قتلوا أباك ؟ فقال لهم(أفضل أن أضع يدى فى يد من قتلوا أبى على أن أضع يدى فى يد من قتلوا وطنى) .

ومنذ بدء سير أحداث ثورة ١٩١٩ م . نظمت المظاهرات السياسية والمواكب الوطنية الواحدة تلو الأخرى ، وكلها تعبر عن وحدة وطنية سليمة لا يشوبها شائبة ويذكر من بين حكايات تلك الوحدة الوطنية أن مر ذات يوم موكب سياسى أمام مسجد السيدة زينب رضى الله عنها ، فتوقف الموكب دقائق ريثما يقرأ منظموه (الفاتحة) وكان من بين قادة الموكب المرحوم مكرم عبيد (باشا) فرفع كفيه كما فعل زملاؤه من المسلمين وأخذ يتلو معهم الفاتحة بصوت غير خفيض .

وفى اليوم التالى التقى أحد الصحفيين الأجانب ممن كانوا يسجلون وقائع هذا الموكب بمكرم عبيد ، وقال له كيف وقفت بالأمس أمام المسجد لتقرأ فاتحة القرآن ، وأنت الرجل المسيحى الشهير ؟ فأجاب مكرم على الفور : نعم يا أخى « أنا مسيحى دينا لكننى مسلم وطنا » .

---

(١) مجلة أكتوبر العدد ٥٨ ٤ أكتوبر سنة ١٩٨١ م . ص ٢٨ – ٢٩ .

ولم يكن هذا هو الموقف الوحيد الذى يبين صدق وحدته الوطنية التى ظلت تسرى فى كيانه ووجدانه . يزيدها الزمن صلابة وتماسكا وكيف لا وهو ابن سعد زغلول وتلميذه البار، يبرهن على ذلك أنه فى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٥ م . وهو يوم الاحتفال بعيد الجهاد الوطنى فى ذكرى ذهاب سعد زغلول إلى دار المعتمد البريطانى للمطالبة بالاستقلال .

وكان خطيب هذا الاحتفال فى تلك المناسبة هو المجاهد الكبير مكرم عبيد الذى شطب من اسمه كلمة (وليام) حتى لايحمل اسما انجليزيا فلقد كان فى الأصل (وليم مكرم عبيد) قال مكرم عبيد فى تلك الليلة التى لاتنسى «أيها الشباب أغضبوا فلو ما غضبتم ماكنتم — ثوروا فلو ماثرتم ماشببتم » وارتجت القاهرة بالهتاف المدوى : تحيا الثورة ، كان مكرم عبيد أخطب الخطباء وأفصح الفصحاء وكان يحفظ القرآن . ولم العجب ؟ فلقد ذكرت صحيفة (الوطن) القبطية فى عددها الصادر فى ٥ مايو سنة ١٩١٦م . أنه كان للأقباط قديما رواق بالأزهر يتلقون فيه العلوم المنطقية والشرعية وأن ممن درسوا فى الأزهر قديما (أولاد العسال) وهم من كبار مثقفى القبط . ولهم مؤلفات بين كنسية هامة فإذا حفظ مكرم عبيد القرآن والشرعية فقد كان هذا أمرا مألوفا بين الكثير من أبناء المسيحين

والأكثر من ذلك فقد وجد من أبناء المسلمين من كانوا يتعلمون علم قراءات القرآن على طريقة ورش ، وورش هذا كان مسيحيا ذاع صيته بين المسلمين أكثر من المسيحيين (١) .

ورغم أن التاريخ المصرى شهد الائتلاف والوئام بين المسلمين والأقباط عبر مراحله المختلفة ، إلا أن ازدياد النفوذ الأوربى فى مصر خلال القرن ١٩ رافقته حملة مكثفة لالصاق تهمة التعصب الدينى بالمصريين زاد أثرها أثناء تواجد قوات الاحتلال الانجليزى بأرض الوطن، ، وأستغلها الانجليز كوسيلة لتبرير احتلالهم لمصر بحجة المحافظة على الأمن وحماية أرواح وممتلكات الأجانب .

---

(١) جريدة الوطن ٥ مايو ١٩١٦ م
عند الحميد الكاتب قراءات ودراسات عن مصر والمصريين ص ١١٥ — ١١٧

كما استخدموها للتفرقة بين المسلمين ولأا قباط حتى تضرب الوحدة الوطنية وينشغل أبناء مصر عن المطالبة بالاستقلال .

وقد لاحظ رجال الفكر والعلم فى الثورة العرابية ذلك ، فحرصوا على توضيح خطورة هذه الأمور لابناء وطنهم وناشدوهم أن يرتفعوا فوق الخلافات الدينية وطالبوهم بالاعتدال والابتعاد عن التعصب « بألايجعلوا اختلاف العقائد سببا فى اختلاف القلوب » . ومن هذا المنطلق رفع عرابى شعار « مصر للمصريين » وكان يريد بالشعب المصرى مسلميه ومسيحيية ، ويقصد بغير المصريين الشراكسة والأتراك الذين استأثروا بالمناصب الكبيرة وعلى الأخص الأرمن وعميدهم نوبار باشا الذى تولى رياسة الوزارة وكان صنيعة للأجانب ومما لاشك فيه أن هذا الفكر المستنير ، كان نتاج فكر الحزب الوطنى الأهلى الذى وضع برنامجه الإمام محمد عبده وبعض زملاء السيد جمال الدين الأفغانى ومريديه عام ١٨٧٩م . ووافق عرابى زعيم الحزب على هذا البرنامج وكان هذا الحزب فى حقيقته هيئة واحدة شاملة للحركة الوطنية فى جملتها وسمى بالحزب ليقابل جماعة الشراكسة والترك والألبان والأرمن الذين كانوا يتبعون الامبراطورية العثمانية (١) .

من أجل هذا أيضا كتب الأمام الشيخ محمد عبده يدافع عن وطنية الحركة العرابية قائلا : هل يقدر أحد أن يشك فى كون جهادنا وطنيا صرفا بعد أن آزره رجال من جميع الأجناس والأديان ؟ فكان يتكالب المسلمون والأقباط والاسرائيليون لنجدته بحماس غريب وبكل ماأوتوه من قوة لاعتقادهم أنها حرب بين المصريين والانجليز ، وقد شمل هذا الحماس (فى التبرعات والاشتراك فى القتال) الأقباط وكان الشيخ محمد عبده يتبع خطة أستاذه الأفغانى فى اتحاد أهل كل قطر شرقى للتعاون على الأعمال الوطنية والسياسية والعمرانية.

ويرى أنه يجب على كل فريق أن يجتهد بنفسه فى ترقية مصالحه الملية وأن يتعاون الجميع على المصالح المشتركة الوطنية .

(1) Baron Firminn. Vingt Années D'Egypte PP. 25 - 30. Lane. E.W. T Modern Egyptian. PP. 535 ; 556.

وعلى أساس هذه الأفكار والمبادىء نص برنامج الحزب فى مادته الخامسة على أن الحزب الوطنى حزب سياسى لادينى ، فإنه مؤلف من رجال مختلفى العقيدة والمذهب ، وأغلبه مسلمون — لأن تسعة أعشار المصريين من المسلمين وجميع النصارى واليهود . وكل من يحرس أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم إليه لأنه لاينظر إلى إختلاف المعتقدات ثم أكد بوضوح أن الحزب يعلم أن الجميع إخوان وأن حقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية . وهذا مسلم به عند أخص مشايخ الأزهر الذين يعضدون هذا الحزب ، ويعتقدون أن الشريعة الإسلامية تنهى عن البغضاء ، وتعتبر فى المعاملة سواء . ومثل هذا الفكر المتحرر نلحظه عند عبد الله النديم الذى شملت دعوته على الرغم من اعتماده على الفكر الدينى فى استناره الجماهير — دعوة مستمرة إلى الأخوة الوطنية والهجوم على التعصب الدينى ، والمعروف أنه أنشأ الجمعية الخيرية الإسلامية وفتح أبواب مدارسها للطلبة الفقراء من المسلمين والمسيحيين على السواء.

وقال فى خطبة افتتاح أولى هذه المدارس: (أنها تعلم الأطفال الإخوة فى الوطن وتبعدهم عن التعصب للدين أو العنصر وتنشئهم على حب الوطن والإنسانية) .

بل إنه عندما هاجمت بريطانيا مصر، لم يكن يفسر هجومها بأنه حرب بين المسلم والمسيحى ، بل بين المصرى والأجنبى ، وفى هذا فقد أعلن بطريرك الأقباط الانبا كيرلس الخامس) أن الانجليز خرجوا على تعاليم المسيحية التى تدعو إلى السلام وعدم الاعتداء (ومن ثم كان الانجليز ينظر إليهم عند النديم والمسيحيين المصريين على أنهم (غزاة مغتصبون خارجون على دينهم يجب حربهم) .

ولذا فقد وجد عرابى أنه من الضرورى أن تعاد صياغة هذا الوطن بأسلوب عصرى جديد ، على أساس من العدالة الاجتماعية دون تفرقة بين قبطى ومسلم. ولذا لاندهش حين يدخل عرابى على الخديوى توفيق ويقول له « إنه لعجيب يامولاى أن تمنح الباشوية وغيرها على الأرمن ،وهم دخلاء علينا ، ولاتمنحها لإخواننا الاقباط وهم أبناء مصر، ولم يجد الخديوى مفرا من الاستجابة ،ومنح الباشوية إلى

(١) مقال للدكتور عبد المنلم جميعى بعنوان « الثورة العرابية والوحدة الوطنية نشر بجريدة السياسى بتاريخ ١٣ — ٩ — ١٩٨١ م .

أحمد لطفى السيد قصته حياتى ص . ٧٠— ٧٥ .

مقال للدكتور نبيل عبد الحميد بعنوان « دور الاستعمار البريطانى فى تفتيت الوحدة الوطنية بجريدة السياسى بتاريخ ٢٠ — ٩ — ١٩٨١ م .

بطرس باشا غالى، ولم يكن هناك باشا من الاقباط غيره عندما قامت الثورة العرابية [١]

ولقد أفزعت روح تلك الوحدة الوطنية الصلدة سياسة انجلترا ، فعمل معتمدوها فى مصر أبتداء من كرومر على ضرورة ضرب هذه الوحدة الوطنية ونشط كرومر إلى إذكاء روح الطائفية والتعصب ، وشجع الاجانب على العمل فى مصر فى مصالحها الحكومية وغير الحكومية ، وكان يعلن دوما « أن الاجانب أقدر من المصريين فى التصدى للأعمال وإنجازها بدقة وإتقان » ولكى يبرر إقدامه على هذا النهج ، أخذ ينتقد بشدة المصريين ويستخف بالإسلام وفى ذلك يقول « أن الاسلام ناجح كعقيدة ودين ، ولكنه فاشل كنظام اجتماعى ,, وكان يقصد من وراء ذلك كله إحداث الوقيعة بين أبناء مصر : أقباط ومسلمين . أقام اللورد كرومر على هذه التهمة التى أتهم بها المصريين دليلين ، أحدهما مسطور فى تقريره عن سنة ١٩٠٥م بمناسبة حادثة الهماميل فى الاسكندرية ، وكان فيها أن مصريا ويونانيا تشاجرا بسبب شراء قطعة من الجبن ، فطعن اليونانى المصرى طعنة بسكين ، فقضى عليه ، وأعقب ذلك أن يونانيا أراد قتل يونانى آخر بغدارة فأخطأه ، وأصاب وطنيا فمات ، فاجتمع رعاع الفريقين وقال بعض المسلمين » أقتلوا النصارى « والثانى حادثة العقبة التى جعلت بعض الجرائد أو بعض الناس يظهرون ميلهم إلى تركيا بمناسبة الخلاف بينها وبين الحكومة المصرية على تحديد التخوم المصرية فى تلك الناحية [٢]

أما الحادثة الاولى فلاتثبت من التعصب شيئا ، لان من الامور الطبيعية أن الناس ينتصرون للمظلوم خصوصا إذا كان من بنى جنسهم.

---

(١) جريدة الاخبار فى ٢٣ – ٩ – ١٩٨١ م .

Abbas Hilmi II. A Few Words On the Anglo-Egyptian Settlement. pp. 51 - 59.

وأما قول البعض ، اقتلوا النصارى « فلوأن هؤلاء قابلوا مسيحيين من المصريين أو من السوريين لما مسوهم بسوء ، ولكن لفظة النصارى فى لغة الرعاع مرادف للافرنج أو نحو ذلك . فإن كان فى نفوسهم عصبية لكانت عصبية جنسية لا عصبية دينية . على أنه ينبغى أن نضع فى الاعتبار أيضا أن المصريين لا يكرهون الأوربيين المقيمين فى مصر من حيث كونهم أجانب أونصارى وفى حالة إذا ما عاشروهم على أنهم مثلهم يخضعون لقوانين البلاد ويدفعون الضرائب كانوا من أحب الناس إليهم .

أما حادثة العقبة ، فإن مرجعها إلى الحركة الفكرية التى جرت فى مصر إبان حادثة العقبة ، كان من جرائها أن أساء الانجليز الظن بالمصريين ، فظنوا أن هؤلاء يتبرمون بهم ويودون استبدالهم بالاحتلال التركى ،وأن مرجع هذا التبرم هو التعصب الدينى من المصريين للترك . وقد جر هذا الفهم إلى نتائج مشئومة .

هذه الامور جعلت كرومر يرمى المصريين بتهم التعصب ومع هذا فقد أضطر أن يعترف فى كتابه « مصر الحديثة » بالحقيقة التالـية ، وهى أن القبطى والمسلم إنسان واحـد هو فى النهاية الإنسان المصـرى ، فالقبطى من قـمة رأسه إلى أخمص قدميه فى السلوك واللغة والروح مسلم ، وإن لم يدر كيف ، فالقبطيات تتشبه بالمسلمات والاطفال يشبون على وجه واحد ، وعادات الزواج والمآتم تشبه ما عند المسلمين « وهكذا فإن اللورد كرومر الذى رمى المصريين بالتعصب عند بدء حياته السياسية فى مصر نجده يناقض نفسه تماما عندما يعلن على الملأ قوله : الفرق الوحيد بين القبطى والمسلم هو أن الأول مصرى يعبد الله فى كنيسة فى حين أن الثانى يعبد الله فى مسجد ويعترف صراحة أن أهالى ببا ومعظمهم من المسلمين انتخبوا جرجس القبطى عمدة لهذه البلدة . كما أن مصر البلد الإسلامى الوحيد الذى تقام فيه شعائر الدين المسيحى بحرية تامة ، مما حدى بعدد من نصارى البلا د الاخرى للالتجاء إليها(١) .

---

(١) عبد الحميد الكاتب قرارات ودراسات عن مصر والمصريين ص ١١٧ – ١١٨
د . نبيل عبد الحميد وآخرون مائة عام على الثورة العرابية ص ١٣٨ – ١٤٠
Henri Bloch. Le Nil Vie D u n Fleuve pp. 250-258.

ويعترف كاتب انجليزى أنه زار مصر قبل الاحتلال البريطانى ولم يجد أى تفرقة بين المسلمين والمسيحيين — الجميع كانوا مصريين ، وشهد بأنه رأى كنائس بناها المسلمون ومساجد بناها الاقباط .

وأوضح سعد زغلول أن كرومر ذكر له « أن القبطى من الرأس الى القدم لا يعدو أن يكون مسلما فى كل عاداته ولغته وروحه » . وختم سعد حديثه « بأنه لهذا السبب نظر الاستعمار البريطانى الى القبط النظرة التى كان ينظر بها أهل أوربا وقتئذ إلى اليهود فى بلادهم واستخدم الاستعمار الشوام من المسيحيين بدلا من الاقباط فى كل مراكز الدولة الرئيسية ومؤسساتها ». .

ولكى تصبح الأمور واضحة أمام مسيحى مصر ، فقد قرأ سعد زغلول فى احدى أعياد المسيحيين القومية ، رسالة خطية من أستاذه العظيم الشيخ محمد عبده جاء فيها أن من يطعن فى طائفة أو ملة الاقباط ، فان ذلك اعتداء على غير معتد ومحاربة لغير محارب وجهاد مع غير عدو ، ولا تخلو طائفة فى العالم من أفراد قلائل على هامش المجتمع ضعاف العقول أو ميالين الى الشر ، فعلى الناقدين أن يقصروا نقدهم على حال أولئك الافراد . . لا المجموع كله . . ويستعينوا ببقية الطائفة وغيرهم من مواطنيهم لرفع شرهم ». .

وهكذا كانت نظرة سعد زغلول إلى عنصرى الأمة على أنهم شعب واحد وأمة واحدة ، تعيش فى وطن واحد اسمه مصر وكل من تربى على أرض مصر فهو مصرى قبل أى شئ آخر(١).

ولذا فان رؤيتنا بأنه اذا حاول مصطفى كامل لم شمل صفوف المصريين فى برنامج حزبه الوطنى الذى ضم عنصرى الأمة ، فان ثورة ١٩١٩ م . صهرت كل شعب مصر مسلميه ومسيحيه فى بوتقة واحدة ، فكانت المحصلة افرازا لعنصر واحد :

---

(١) عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ص ص ١٢٠ ، ٢٠٥ .

وجاءت تلك الوحدة الوطنية دون صياغة فى برنامج الحزب ، وهكذا وجدت مصر نفسها فى ثورة ١٩١٩ م . وكأنها تعود لحياتها الطبيعية الأصلية (١).

وعبر عن هذا المعنى كله قبيل ثورة ١٩١٩ م . السلطان حسين كامل فى قوله لايوجد فى وادى النيل من منبعه الى مصبه مسلمون أو مسيحيون أو سودانيون أو عرب أو ترك بل يوجد أمه و احدة ، وعنصر واحد وقومية واحدة وهدف واحد هو الحرية والاستقلال» هذا اللحن العذب رددده من قبل مصطفى كامل (٥) ورددتها من بعده مصر كلها فى صوت واحد هو صوت الحق أثناء اشتعال ثورة الشعب عام ١٩١٩ م ».

وهناك من يرجع نسبه الفضل فى اتحاد عنصرى الأمة إلى مصطفى كامل وليس إلى سعد زغلول ، ومؤيدو هذا الرأى يرون أن مصطفى كامل هو أول زعيم مصرى مسلم دعا الاقباط إلى الجهاد الوطنى معه . وقد اصطفى معه شخصيتين كبيرتين من خيرة الشخصيات القبطية فى عهده وهما ويصا واصف ومرقص حنا . فكانا من أكبر أنصاره وأعوانه فى الجهاد ، وأولهما كان مشهورا باقتداره على الخطابة بالفرنسية فى المؤتمرات الوطنية فى الخارج . وقد انتخب ويصا واصف فى اللجنة الادارية للحزب سنة ١٩٠٧ م .

و من المعروف عندما أسس مصطفى كامل الحزب الوطنى أنه لم يكن للدين أى مكان فى برنامجه ، فلم يرسم حدودا فاصلة بين المسلم والقبطى وكانت مصر المتحدة هى حلمه وهدفه ونجح مصطفى كامل بقوة شخصيته واخلاص وطنيته فى ادماج بعض الأقباط مع المسلمين داخل حزبه وحثهم على التخلص من منافساتهم التى كانت تذكيها قوى الاحتلال تنفيذا للسياسة الاستعمارية البريطانية التقليدية (فرق — تسد) .

قدرى قلعجى سعد زغلول : رائد الكفاح الوطنى فى الشرق العربى ص ٥٠ ومحمد كامل ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها ص ١١١ ، ١١٢

(2) Madame Juliette Adam. - L'Angleterre En Egypte :p. 170.

وكان هذا الزعيم دائم الاستعمال للتعبيرات الوطنية المصرية والواضحة فى خطبه وبياناته وقد حدد هذه الوطنية فى خطبه له بالاسكندرية فى يونيو سنة ١٨٩٧م بقوله (إن المسلمين والأقباط شعب واحد مرتبط بالوطنية والعادات والتقاليد وأسباب المعاش ولا يمكن التفريق بينهما مدى الأبد) .

وقال فى خطبة أخرى يوم ٢ يونيو عام ١٩٠٠ م . وكيف يستطيع رجل وطنى أن يدعو للشقاق والبغضاء ، وهذه الدعوة مناقضة للوطنية الصحيحة فالأقباط إخوة لنا فى الوطن تجمعنا بهم أشرف رابطة وقد عشنا معهم القرون الطوال على أتم وفاق وأكمل اتفاق .

واذا كان تعضيد مصطفى كامل لتركيا على أسس دينية ودعوته إلى الجامعة الإسلامية قد أديا الى أثارة مخاوف بعض الأقباط وابتعادهم عن حزبه ، فان مصطفى كامل قد تولى بنفسه الرد على هذه المخاوف . فى العدد السابع من (اللواء) لسان حال الحزب الوطنى — نشر رسالة بعث بها إليه (أحد فضلاء الناشئة القبطية) يقول له فيها (يدهشنى أن أراك وأنت أشد أبناء مصر حبا لمصر . مناديا بالجامعة الإسلامية محرضا المسلمين على الاتحاد والاتفاق وغير مهتم أبدا باخوانك الأقباط الذين هم أخوتك فى الوطنية وأقرب اليك من مسلمى جاوه ونجاره فى الهند فأذا كنت أنت الذى طفت أوربا وعرفت معنى الحياه ، ونلت من مزايا الوجود مانلت تجحف بالجامعة الجنسية ، ولا تملا جريدتك الغراء الا بالاسلام والمسلمين . فماذا ياترى تكون إحساسات عامة المسلمين نحونا ؟ أنى استلفت نظرك الصائب إلى هذا الأمر الجدير بالالتفات وأترك لك الرأى والسلام(وقد رد مصطفى كامل على الرسالة شارحا رأيه فى الربط بين الوطنية المصرية والجامعة الإسلامية دون تناقض بين الدعوتين بقوله (لا نبخس الجامعة الجنسية حقها ولا نأبى الاتحاد الأكيد مع أخواننا الاقباط وقلنا أن الدم الذى يجرى فى عروق مسلمى مصر هو نفس الدم الذى يجرى فى عروق الاقباط وأن أول واجب نحو الوطن هو الاتحاد التام بين أبنائه).

ثم زاد موقفه شرحا وتفسيرا فى مقال آخر باللواء فى ١٦ يناير سنة ١٩٠٠م . حيث قال (إننا فى مصر أمة مشتركة جزء هو الأقباط وجزء عظيم هو المسلمون وعلينا واجبان عظيمان : واجب دينى وواجب وطنى فالواجب الدينى يحتم على المسلمين أن يرجعوا الى مبادئ الاسلام الصحيحة ويعملوا بأوامر الدين الحنيف ويجتنبوا نواهيه ويتحدوا فيما بينهم اتحادا متينا أكيدا حتى يرتفع شأنهم وتسمو بين الأمم مكانتهم ولا ملامة عليهم اذا انعطفوا بكل جوارحهم نحو أخواتهم المسلمين فى سائر أقطار المعمورة ، لأن الإسلام جعل المسلمين أخوة بالرغم من اختلاف النحل والبلاد . . . وإذا أضفنا الى الرابطة الدينية اتحاد المصالح السياسية واضطهاد أوربا لنا بصفة واحدة وشكل واحد ولغة واحدة : ظهر لناضرورة اجتماع كلمة المسلمين . وعرف الناس جميعا لماذا تنادى بالاتحاد السلامى) .

هذا التضامن بين المسلمين من ناحية وبين الأقباط من ناحية أخرى لايشكل أى تناقض مع الواجب الوطنى لكلا الطرفين : أما واجبنا الوطنى فهو العمل بالاتحاد التام بين المسلمين والأقباط . لخدمة هذه الديار العزيزة والسعى وراء استقلالها وحريتها) [١] .

وتتميز ثورة ١٩١٩ أنها كانت تيارا جارفا جرف المصريين جميعا مسلمين ومسيحيين من أجل هدف واحد هو مصر والوصول بها إلى بر الأمان .

وسارت طوائف الأمة كلها قيادة وشعبا فى سمفونية واحدة تطالب بحقها من أجل الاستقلال ، وسارع أقباط مصر ومسلموها منذ اللحظة الأولى للثورة معلنين « مصر فوق الجميع » .

تجلى هذا المعنى منذ الصباح من ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ م . حين توجه سعد زغلول وبرفقتة عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى إلى دار المعتمد البريطانى مطالبين

---

(١) نجيب توفيق : مصطفى كامل أضواء جديدة على حياتى ص ٨١ ، ٨٣
وعبد الرحمن الرافعى ومصطفى الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية
وتاريخ مصر القومى من سنه ١٨٩٢ ـ سنه ١٩٠٨
صفحة ١٠٠، ١٠٤

بأنه قد آن الأوان لبحث مصير مصر وطالبوا بالتصريح بعرض قضية بلادهم على مؤتمر الصلح ، فكان رد المعتمد البريطانى بأنهم ما هم الاثلاثة من أعضاء الجمعية التشريعية المعطلة .(١)

ثم تساءل فى خبث : من أعطاكم تفويضا بالتحدث باسم مصر ومن هنا بادورا بجمع التوقيعات على أنهم « وفد شعب مصر » ومن هنا كان اسم الحزب الجديد « الوفد المصرى » وأنضم الاقباط منذ البداية إلى الحركة الجديدة وشارك فى ذلك أولا : فخرى عبد النور وويصا واصف وغيرهم . وقد رشحوا واصف بطرس غالى — الابن الثانى لبطرس غالى — لعضوية « الوفد المصرى وهو قيادة الحزب الجديد .

ولقد لعب واصف غالى دورا بارزا فى الحركة الوطنية فقد ألقى بنفسه فى أتونها منذ بداية عام ١٩١٨ م . ولم يرهبه السجن أو الموت . كما لعب دورا بارزا فى واد الفتنة الطائفية التى بلغت ذروتها عقب اغتيال والده بطرس غالى حيث عقد مؤتمر للأقباط فى أسيوط وآخر للمسلمين فى هليوبوليس وتساءل هل يستحق أعضاء الأسرة الواحدة الذين تربطهم علاقات طبيعية ، أن يعقد لهم مؤتمرات مثلما حدث فى أسيوط والقاهرة ؟. وأخذ يدعو إلى الوفاق بين المسلمين والمسيحيين ، وحث على ضرورة نشر المبادئ الخاصة بالوحدة الوطنية وغرسها فى نفوس أبناء المدن والقرى من أجل صالح مصر ، حتى يمكن الوقوف بصلابه أمام الدعاية المغرضة التى كانت تغذيها أبواق الاستعمار البريطانى . وأخذ فى كل مقالاته يدعو إلى القضاء على دعوة الانقسام بين عنصرى الأمة .

وكان يقول باستمرار فلننس الماضى ، لأن الماضى يحمل ذكرى الشك — والبغضاء والشحناء ، ولننس الخلافات والفرقة .

---

(١) ميلاد حنا : نعم أقباط ولكن مصريون

Oeuvres Du Congres Nationeil Egyptien. pp. 110-130.

وكيف لا ينشأ غالى على حب مصر ؟ وهو الذى عينه الخديوى عباس حلمى الثانى كاتبا فى الوزارة الاوربية دون علم أبيه . و قد أعلنت جريدة عربية « مسيحى فى الخاصة »

وقد حظى بحب الخديوى ، وأنعكس هذا الحب على مسلك واصف بولائه وأنتمائه لارض مصر كهدف أسمى يعلو كل ما عداه وقد عرف بثاقب فكره أن أرض مصر لم تعرف التعصب يوما قط .

وننتقل الى شخصية أخرى عظيمة فى وطنيتها ، وقفت فى حلبة النضال الوطنى زهاء ثلاثين عاما وتلك الشخصية (ويصا واصف) وهو رجل شريف ونظيف ، عرف طوال حياته بالاستقامة الوطنية والخلقية ، وكانت فيه عزة نفسية تسموبه فوق صغائر الناس ، فهو جدير بأن يذكر لابناء هذا الجيل ضاربا لهم مثلا فى العزه والتضحية . كان ويصا واصف فى مطلع حياته شابا نابغا متفوقا فى دراسته . فأوفدته الدولة فى أواخر القرن الماضى فى بعثه لدراسة العلم فى فرنسا فلما عاد ٩ من البعثه عين مدرسا للكيمياء فى مدرسة رأس التين الثانوية ، ولكنه أصطدم بدكتاتور التعليم الاستعمارى فى مصر (وقلوب) الذى كان يريد أن يطبع التعليم بطابع الاستعمار فكان يحاول نسخ قومية التعليم ، ويضايق الذين تعلموا فى فرنسا ويفضل عليهم الذين تعلموا فى أنجلترا والمدرسين الذين يجلبهم من أنجلترا .فأدرك ويصا واصف أن حياة التعليم مع سيطرة (دنلوب) عليها لا تتشع لطموحه وآماله ، فأتجه الى دراسة القانون ، وكان يسافر كل عام الى فرنسا لاداء الامتحان حتى تخرج فى دراسته بتفوق كبير ثم وقعت الواقعة بينه وبين دنلوب وظن دنلوب أنه سينتقم منه ولم يكن يعرف أن ويصا قد أعد عدته لهذا اليوم الوطنى وأختير عضوا فى اللجنة الادارية وبرزت شخصيته الوطنية بين الاعلام فالقى فى وجهه باستقالته ، وانشأ مكتبة للمحاماة فى المختلط ودخل فى معركة النضال من رجال الحرب وحدث أن نشب خلاف جاد بين صحف الحزب الوطنى والصحف والصحف القبطية فى ذلك الوقت ، وقيل لويصا واصف لا يصح أن تبقى فى الحزب

(1) Kamel Raouf. Wacyf Ghali, L'Ecrivain. pp. 7' 8.

وفى لجنته الادارية وصحفة تهاجم الاقباط هذا الهجوم العنيف فقال كلمته المشهورة أنا مصرى وطنا قبل أى شئ آخر وظل (ويصا واصف(فى الحزب وطنى وفى لجنته الادارية وطنيا مخلصا ، وعضوا بارزا حتى قامت الحرب العالمية الأولى ، فاعلنت أنجلترا الحماية على مصر وعطلت كل نشاط وطنى فى البلاد ثم شبت ثورة الشعب الوطنية فى عام ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول فأختارة ، عضوا فى الوفد ، ولما ألف سعد الوزارة الشعبية فى عام ١٩٢٤م. رشحه وزيرا للمعارف ولكن الملك فؤاد أعترض عليه ولم يأبه ويصا واصف بهذا الاعتراض ولم يجعل لمنصب الوزارة تقديرا فى حسابه ، وعاش على أستقامته الوطنية ولم يد خل ووارة ، وكان قد أختير رئيسا لمجلس النواب ، وفى هذه الرياسة برزت شخصيته ، برلمانيا من الطراز الأول ، حريصا على الديمقراطية للشعب ، صريح لا يقبل المساومة على حق من حقوق الوطن . فى عام ١٩٣٠ م . عندما صدر الامر الملكى بحل مجلس النواب والشيوخ — حينما تأمر الملك مع الاستعمار البريطانى لالغاء دستور ١٩٢٣ م . . . أتفق الشيوخ والنواب على أن يطلب ويصا واصف رئيس مجلس النواب ومحمود بسيونى وكيل مجلس الشيوخ من وزير الداخلية تسليمهما مفاتيح البرلمان وفك الشمع عن أبوابه وذلك بعد أن أمر أسماعيل صدقى فاغلاق المجلس وأحكام اغلاقه بالسلاسل حتى لا يجتمع الأعضاء ولهذا اشتهر بتحطيم السلاسل .

ولما وافته منيته ، تحولت جنازته إلى مظاهرة وطنية صاخبة وكانت الحموع تهتف إلى الخلد يا ويصا ، إلى جوار سعد العظيم ، وحشد صدقى قواته ولكنها كانت أقوى وأعنف .(١)

ذلك هو ويصا وأصف مثل رائد من أمثلة الوحدة الوطنية السليمة .

ومن بين أعضاء الوفد البارزين ، كان مرقص حنا باشا ، وكان أبوه قسيسا وتلقى تعليمه الأساسى فى مصر ، وأتمه فى باريس ، واشتغل بالمحاماه ، ولم يقتصر شهرته على كونه محاميا ، بل تحرك إلى السياسة بباع طويل ، فانضم إلى الحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل ، وكان من رواده الأول .

وبعد الحرب الأولى زج بمصيره فى ركب سعد زغلول .

(١) جريدة الأخبار فى ١٩٨١/٥/٢٧

وفى نهاية عام ١٩٢٢م. كان فى صراع مـع سلطات الأحتلال البريطانى ، حكمت عليه تلك السلطات بالاعدام ، ثم خففت عنه الحكم إلى سبعة اعوام مع الأشغال الشاقة ، ولكن أطلق سراحه فى عام ١٩٢٣ م.(١).

ولم يشعر أقباط مصر أنهم أقلية ، فقد أنتخب المصريون المسلمون أخوانهم الاقباط فى كل المؤسسات ، ولذا فقد أنتخبوا مرقص حنا محامى القاهرة بأغلبية ساحقة ، كنقيب محامى مصر . وهكذا فإن المصريين كانوا يقدرون الكفاءة المصرية فى المسألة الانتخابية وليس هناك فى تاريخ الشعوب - من يضرب به المثل فى وحدته الوطنية مثلما حدث فى مصر التى كان يعيش أبناؤها مسلمون ومسيحيون فى وفاق تام(٢) وهناك من بين أقباط مصر من ضجى بمركزة فى الحوادث الأخيرة مثل سلامة بك ميخائيل الذى كان قاضيا بالمحاكم ، وصادق بك حنين أحد وزراء الزراعة البارزين .(٣)

وبرز من بين صفوف هؤلاء المناضلين رجل من رجال الدين المسيحى هو القمص سرجيوس الذى كان لا يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره ، وأعلن أنضمامه الى أتون الثورة ليؤكد تضامن عناصر الامة المصرية وتماسكها وليرد بأسلوب دافع على المستعمرين ، « ان الدين لله والوطن للجميع» وكان القمص سرجيوس يخطب فى المنتديات والميادين العامة فى الليل والنهار مؤيدا مطالب الثورة وهى الجلاء عن وادى النيل ، وعندما اعتقل سعد زغلول و صحبه وأبعدوا إلى مالطة ، اتجه القمص سرجيوس على رأس مظاهرة كبيرة الى الجامع الازهر حيث اعتلى منبرة وهو يرتدى الملابس الكهنوتية ، فكان بذلك أول — كاهن مسيحى يعتلى منبر الأزهر وقد ظل يعيش فى الأزهر ثلاثة أشهر كاملة يخطب فى الليل والنهار فى الجموع الزاخرة من المواطنين بصوت جهورى ، وكان يلهب المشاعر والنفوس بكلماته النارية ، وكان يشترك معه فى الخطابة

---

(1) Madame Ju\ie'et, Adam. L'Angleterre En Egypte .p. 177.
(2) Ibid. p. 263
(3) Idem.

كثيرون من علماء الازهر وخطباء الثورة ، وكان المشايخ والعلماء من جانبهم يخطبون فى الكنائس يومئذ عرفت منابر الكنائس خطباء المسلمين مثل الشيخ دراز والشيخ الزنكلونى والشيخ القاياتى والشيخ أبو العيون ، وتميز القمص سرجيوس بأن أطلق عليه لقب « خطيب الثورة الأول ».

ومن مواقف القمص سرجيوس أن خطب فى أحد أيام الجمع فى مسجد من مساجد القاهرة ، ولم يكد القمص سرجيوس يعود إلى بيته بعد القاء هذا الخطاب حتى صدر الأمر باعتقاله ونفيه إلى مدينة « رفح » وهناك ظل معتقلا وكان معه فى مقدمة المعتقلين محمود فهمى النقراشى وأبو شادى المحامى والشيخ مصطفى القاياتى .

ومن المنفى أرسل القمص سرجيوس خطابات الى اللورد اللمبى « المندوب السامى البريطانى فى مصر « يندد فيها بسياسة الانجليز فى مصر ويصف غطرسة المحتلين والاساءة الى الفادة والزعماء بما أرتكبوه فى حقهم من حماقات «ولما رد اللورد اللمبى على القمص سرجيوس قائلا :» إن السلطات الانجليزية لا يمكن أن تفرج عنه» رد عليه القمص سرجيوس : أننى لم أطلب الافراج عنى ، وأنما شكوت من سوء معاملة الانجليز للمواطنين فى وطنهم» .

وبعد فترة الاعتقال التى أستمرت ثمانين يوما ، أفرج عن القمص سرجيوس فلم يثنه الاعتقال عن مواصلة النضال الوطنى والقاء الخطب بصورة أشد عن ذى قبل .

وكان من عادة القمص سرجيوس أنه لايقصر الخطابة على المساجد والاندية والمحافل بل كان من عادته أن يلقى هذه الخطب فى الشوارع والميادين العامة وهو راكب فى عربة خنطور» وكان المواطنون يلتفون حوله مما يترتب عليه تعطيل حركة المرور بسبب الزحام الشديد(١) .

---

(١) المصور عدد تذكارى ٥٠ عاما عن ثورة ١٩ ص ٦٥ — ٧٠ ٧ مارس سنة ١٩٦٩ م.

ولقد بهرت هذه الوحدة الوطنية كل العالم ، فقد بهرت زعيم الهند غاندى فكتب الى الزعيم المصرى سعد زغلول أبان ثورة ١٩١٩ م . يسأله : (قل لى بربك) كيف أستطعت أن توحد صفوف المسلمين والاقباط فى حركتك السياسية فاجابه سعد زغلول : (لست أنا الذى وحدت هذه الصفوف إن الذى وحدها هو الله ، وهكذا كان المصريون دائما أن هذه العباره كانت بمثابة تيار قومى جارف يعيد الى الوجدان المصرى وجدته : شكلا ومضمونا ، فكرا وسلوكا : إذ فى أوائل القرن خرجت صيحة لطفى السيد « مصر للمصريين » لاهى لتركيا ولا هى لإنجلترا . وفى ثورة ١٩١٩ م . أنطلقت دعوة سعد زغلول الى « وحدة عنصرى الأمة » حين سأله جورج ضياط» ماذا سيكون عليه موقفكم معنا بعد الثورة ؟ فأجابه سعد على الفور (لكم مالنا . . وعليكم ما علينا)

وعلقت جريدة المورنيخ بوست البريطانية عن ظاهرة الوحدة الوطنية خير تعبير فى مقال لها فى ٩ أبريل ١٩١٩ م . قالت فيه « إن الأقباط من أشد الناس تحمسا للدفاع عن الفكرة الوطنية وكانوا أول ضحايا الأستقلال . وكان القساوسة يحضون على حب الوطن من فوق منابر المساجد والأزهر وكان المشايخ والعلماء من جانبهم يخطبون فى الكنائس وكان أشد المشاهد تأثيرا ظهور الأعلام و قد رسم عليها الهلال كانه يعانق الصليب . وفى هذا المعنى أيضا كتب مراسل التيمس من القاهرة يقول : لقد ضحك علينا المصريون وخيبوا أملنا فيهم ، فعلى منبر الازهر تعانق الهلال والصليب وبقيادة سعد زغلول خرج كبار الاقباط الى مواقع الطليعة فى الكفاح والثورة يتلقون أحكام الاعدام وهم يهتفون للحرية والاستقلال ولزعامة سعد زغلول .

L'Égypte Bulletin. Bi-Mensuel/er Nov. 1920. p. 10.

الوفد بين مصر وأوربا جمعية النيل الحر ببرلين ، مارس ١٩٢١

Great Britain and Egypt (1914-1951). pp. 150-160.

(وادى النيل ـ جريدة مصر ـ النظام)

ومن مواقف الوحدة الوطنية التاريخية فى مصر موقف محاكمة الاقباط الوطنين أمام المحكمة العسكرية البريطانية فى ثورة ١٩١٩ م . وكانت هذه المحكمة تحاكم عددا من أقطاب الوحدة الوطنية أقباطا ومسلمين فلما أصدرت المحكمة حكمها بالاعدام وقف مرقص حنا باشا فى قفص الاتهام ليعانق أحد شيوخ المسلمين ويهتفا معا : تحيا مصر (١)

ويوم قامت الضجة التى حركها الملك فؤاد ضد (الشيخ على عبد الرازق عند صدور كتابة (الإسلام وأصول الحكم) (ويوم استقال من الوزارة وزرا حزب الاحرار الدستوريين بسبب الاجراءات التى اتخذها الملك ضد على عبدالرازق كان أول المستقلين الوزير القبطى توفيق دوس باشا (ولقد حاول المندوب السامى البريطانى ، أن يمنع توفيق دوس عن هذا الموقف ، فقال الرجل أننى لست مستعدا للاستقالة من الوزارة فقط بل أنا مستعد لان أترك العمل السياسى كله .-

وحينما أتفقت الأمة على مقاطعة لجنة ملنر أتجهت بريطانيا لتفتيت الوحدة الوطنية .فلما استقالت وزارة محمد سعيد، نتيجة للمعارضة الشديدة التى واجهتها من الوطنين وضع الانجليز على رأس الوزارة الجديدة رجلا قبطيا هو يوسف وهبة

وكان هدف الإنجليز أنه لوسكت الشعب على الوزارة ، تحقق الهدوء الذى يرجوه – الانجليز عند وصول لجنة ملنر ، ولو ثار الناس عليها لقيل إن الثورة موجهة إلى رئيسها « القبطى » الذى يرفضه «المسلمون» وفى الحالتين يمكن الادعاء بأن الاقباط يرحبون بلجنة ملنر . أما اذا تعرض رئيس الوزراء للاغتيال ، فانه يمكن استقلال الحادث كما أستغل من قبل حادث أغتيال بطرس غالى (١) .

وفور ذيوع خبر تشكيل الوزارة يوم٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩م . أجتمع عدد

---

(١) الجمهورية ٣ سبتمبر سنة ١٩٨١ م .

عبد الرحمن الرافعى ثورة ١٩١٩ م . تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ م . إلى سنة ١٩٤١ م الجزء الاول كتاب الشعب ص ١٣٨ – ١٤٠

رمزى ميخائيل : جيدة الوحدة الوطنيه فى ثورة ١٩١٩ ص ٥٨

كبير من الأقباط فى الكنيسة المرقسية الكبرى وضربوا المثل الرائع فى التضامن مع اخوانهم المسلمين وتوجوا نضالهم الوافى بهذا التضامن الذى ظهر جليا فى البيان الذى نشر فى ٢١ نوفمبر تحت عنوان« احتجاج الاقباط على وزارة وهبة باشا.

بيان إلى الامة المصرية . وقد جاء فيه :

علمنا أن صاحب المعالى يوسف وهبه باشا قد قبل فى الظروف القاسية العصبية التى تجتازها الامة، أن يقوم بتشكيل الوزارة بعد البلاغ الرسمى الأخير الذى تضمن تمسك الانجليز بالحماية على مصروحيث أنه لايمكن تفسير هذا القول ألا بقبول الحماية والعمل تحت لوائها ومعاونة لجنة ملنر فى تقرير مصير البلاد.

وحيث أنه يخشى أن يعتبر الانجليز الذين يسعون جهدهم لتشوية حركتنا الوطنية ووحدتنا القومية قبول الرجل لهذا المنصب بمثابة ارضاء أقباط مصر أو فريق منهم عن وزارته أو عن سياسة هذه الوزارة أو أى سياسة لاترمى إلى إنالة مصر استقلالها التام .

« وحيث أن وهبة باشا لم يمثل فى وقت من الاوقات أمانى الاقباط ولم يشترك معهم فى شعورهم القومى أيا كان نوعه .

« وحيث أنه لافرق بين مسلم وقبطى ، بل المصريون كلهم شخص واحد ،ولكن الاقباط يرون أنفسهم مضطرين إلى أن يتقدموا بصفتهم أقباطا لإظهار شعورهم حيال هذا الحادث .

« لذلك هم يعلنون براءتهم من كل رجل أو هيئة تقبل الحماية أو تساعد على بتعضيدها» .

« فلكل هذه الاسباب يعلن الموقعون على هذا اشتراكهم مع سائر طبقات الامة المصرية فى الاحتجاج على تشكيل الوزارة الجديدة » .

وقد وقع هذا البيان من رجال الدين المسيحى: القمص باسيليوس ابراهيم

وكيل البطريركية والقمص بطرس عوض الله رئيس الكنيسة البطريركية والقمص سيداروس غالى نائب رئيس المجلس الروحى والقمص سلامة منصور رئيس المجلس الاعلى الملى الفرعى ، والقمص مرقص سرجيوس والقمص عبد المسيح ميخائيل رئيس كنيسة الفجالة ومن قادة الرأى وأعضاء الوفد : سينوت حنا بك، ويصابك واصف . فهمى بك حنا ويصا . أمين بك خياط ، شكرى بك بطرس ، سامى أخنوخ فانوس ، ابراهيم تكلا ، وليم مكرم عبيد ،راغب اسكندر . عزيز مشرقى الدكتور ابراهيم فهمى المنياوى باشا، الدكتور بخيت اسكندر باشا.

وإلى جانب ذلك فقد عقد اجتماع كبير فى الكنيسة المرقصية الكبرى برئاسة القمص باسيلوس وكيل البطريركية . . وقد تناوب فيه الخطباء محتجين على قبول وهبة باشا تشكيل الوزارة ومعبرين عن تضامنهم مع اخوانهم المسلمين. وقد ارسل المجتمعون برقية إلى وهبة باشا محتجين على قبوله الوزارة .« اذ هو قبول للحماية ولمناقشة لجنة ملنر ، وهذا يخالف ماأجمعت عليه الامة المصرية من طلب الاستقلال التام ومقاطعة اللجنة (١) .

وأخذت الصحف تنشر رسائل الاحتجاج من الاقباط على اختلاف طبقاتهم بالعاصمة والأقاليم .

وكتب سنيوت حنا فى صحيفة (مصر) يهاجم يوسف وهبة وينبه إلى أن الهدف من تعيينه هو التفرقة بين الاقباط والمسلمين . ونقلت (مصر) عن آل (جونارل دى كير، قول ويصا واصف أن يوسف وهبة لا يمثل القبط ولايعبر عن امانيهم .

ولما رأى قادة الحركة الوطنية مدى استياء الاقباط من مخالفة يوسف وهبة اتجاه الحركة الوطنية، وخشيتهم من حدوث نفور بينهم وبين إخوانهم المسلمين توجهت جماعة من أعضاء الوفد ولجنته المركزية يتقدمهم عبد الرحمن فهمى سكرتير عام اللجنة، إلى الكنيسة المرقسية

(١(مذاكرات هدى شعراوى ص ٢٠٠ – ٢٠٢.

يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٩م. ليؤكدوا للاقباط تألم المسلمين أيضا من فعلة يوسف وهبه ، وأنها لايمكن أن تسبب أى فتور فى العلاقات بين العنصريين ، لأنه اذا وجد بين الاقباط خائن قبل رئاسة الوزارة فى هذه الظروف الحرجة ، فقد وجد بجواره سبعة من الوزراء المسلمين .

وأفسحت الصحف المجال لرسائل المواطنين المسلمين التى يشكرون فيها أخوانهم الأقباط على « صدق وطنيتهم وأخلاصهم لأمتهم » .

وأبدى سعد زغلول إعجابه بتبرؤ الأقباط من يوسف وهبه، وبما كتبه ويصا واصف فى آل(جورنال دى كير) من أعتراض شديد عليه وبذلك أكدت قيادة الوفد والصحف الوطنية ، أن المسلمين متضامنين مع الأقباط لإسقاط الوزارة غير الوطنية (١) .

وعندما أرادت الحركة الوطنية التخلص من يوسف وهبه باغتياله ، جندت لذلك أحد الوطنيين الأقباط هو عريان يوسف سعد، وذلك حتى لاتعطى للمستعمر الفرصة لأشعال نار الفتنة بين شتى الأمة ، اذا قام بالاغتيال أحد المسلمين .

وقد ألقى عريان يوسف قنبلتين على رئيس الوزارة صباح يوم ١٥ ديسمبر ١٩١٩ م. — بينما كان مارا بسيارته فى شارع سليمان (باشا) متجها إلى وزارة المالية ورغم انفجار القنبلتين ، إلا انهما لم يصيبا رئيس الوزراء ولا السيارة . وقبض على الشاب الوطنى وهو يحاول إخراج مسدس من جيبه وأعترف فى التحقيق أنه كان يحاول اغتيال حياة يوسف وهبه .

وحوكم أمام محكمة عسكرية انجليزيه ، قضت عليه بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات ، وأفرج عنه سنة ١٩٢٤ م . ضمن من شملهم العفو فى عهد وزارة سعد زغلول .

---

(١) محمد حسين هيكل مذكرات فى السياسة المصرية ج ص ٧٧ — ٧٩ .

وكانت الصحف الوطنية متعاطفة مع عريان يوسف عند محاكمته ، فقالت (النظام) أن الذى دفعه الى اغتيال رئيس الوزراء هو اخلاصه لوطنه كما أراد أن يبرهن بذلك العمل على تعاضد وتماسك الأقباط والمسلمين فيما يختص بالمطالب الوطنية » (١)

وأوضح ابراهيم عبد الهادى كيف أن عريان يوسف سعد الشاب القبطى الوطنى أصر على اغتيال رئيس الوزراء بنفسه ، ورفض رفضا قاطعا أن يتولى هذه التضحية أحد سواه ، باعتباره قبطيا مصريا صميما وبذلك تسد المسالك على اللاعبين بالنار والمحاولين اشعال نار الفتنة الطائفيه .

وفى النهاية فشل المستعمر فى تحقيق هدفه من تعيين يوسف وهبه رئيسا للوزراء وانتصرت الوحدة الوطنية .

وبهذه المناسبة يجدر الاشارة الى أن الحركة النسائية المصرية وقفت موقفا مضادا من محاولة رئاسه يوسف وهبه باشا الوزارة .

اذ وقفت السيدات المسيحيات فى وحدة وطنية رائعة مع السيدات المسلمات اذ أنه اجتمع فى كنيسة البطريركية السيدات المصريات مسلمات وقبطيات يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ م . للاحتجاج على قيام وزارة يوسف وهبه باشا وكان فى مقدمتهن السيدات هدى شعراوى وشريفة رياض وحرم حبيب بك خياط وحرم فهمى بك ويصا ، وأصدرن بيانا من مقر الكنيسة المرقسية الكبرى التى كان يخطب من فوق منبرها مشايخ الأزهر الكبار ، وعندما تحركت مظاهرة السيدات الشهيرة من محطة مصر وسارت الى ميدان الاوبرا وشارع عابدين . وكان هدفها الوصول الى بيت الأمة ، تصدى لها جيش الاحتلال وصوب الضباط والجنود البنادق الى صدور — السيدات وخرجت من الصفوف فتاة شجاعة باسلة هى

---

(١) النظام ديسمبر سنة ١٩٢٠ م.

(أستر فهمى ويصا) وأتجهت الى الضابط الانجليزى وقالت له : « أطلق الرصاص على صدرى حتى تكون لكم فى مصر جان دارك ثانية مثل أختها التى أحرقتموها فى فرنسا .

وتذكر هدى شعراوى فى مذاكراتها بمناسبة حضورها مؤتمر الاتحاد النسائى العالمى المنعقد فى روما فى ١٦ مارس سنة ١٩٢٢ م . أنها لم تحضر معها علم مصر ولما كان كل وفد أمامه علم بلده ، فقد أوصت هدى شعراوى الفنان « يوسف كامل» الذى كان يدرس الفن فى روما فى ذلك الوقت — أن يحمل علم ثورة ١٩ وهو علم أحمر اللون يتقابل فيه الصليب مع الهلال وحضر به الى الوفد المصرى فسألت رئيسة الوفد — وكانت أمريكية — لمن هذا العلم ؟ (وقامت هدى شعراوى وقالت إنه علم الثورة المصرية الذى يوضح وحدة الشعب بأكمله بين الأقباط والمسلمين . وهنا دوت القاعة بالتصفيق (١) وفى النهاية أتوجه بالدعاء الى الله وأقول يارب : احفظ لنا وحدتنا الوطنية التى هى فخرتنا ، وهى سرقوتنا صمودنا فى كل ماصادفنا من محن وأزمات ، وانزع التعصب والطائفيه والأرهاب من البعض منا الذين حاولوا أن يشوهوا جمال بلادنا ، وأن يحولوا الحب إلى حقد والتسامح الى انتقام ، وأن يحولوا حضارة أمة الى جاهلية قديمة وأن يعيدونا الى الوراء بعد تقدمنا العظيم إلى الأمام .

---

(1) Chirol Valentne The Fgyptian Problem p.160 Elgood, P.G. Egypt. 110

٢ — مذكرات هدى شعراوى . ص ٢٥ و ٤٦

Youssef Amine, (Bey) Independent Egypt. p. 105.

قائمة المراجع

أولا : وثائق منشورة

أ ـ باللغة الإنجليزية :

Great Britain and Egypt (1914-1951)
Information Papers. No 19.

ب ـ باللغة الفرنسية :

Adam Juliette (Mad ame)
L'Angleterre En Egypte. Paris. 1922
Documents Diplomatiques Concernant L'Egypte de Mohemet jusqu, eu 1920
L'Assosociation De paris, 1920
Deuves Du Congre's National Egyptien Tenu A Brxelles.
Le 22, 23, 24 Septenbre 1910.

ثانيا : مراجع باللغة العربية :

(١) أحمد لطفى السيد : قصة حياتى ، دار الهلال ١٩٨٢ م .

(٢) رمزى ميخائيل جيد ، الوحدة الوطنية فى ثورة ١٩١٩ م .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية.
(تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ م . إلى سنة ١٩٠٨ م) مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٢ م .

(٤) عبد الرحمن الرافعى ثورة ١٩١٩ م . : تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ م . إلى سنة ١٩٢١ م .
الجزءان الأول والثانى ، مؤسسة دار الشعب ١٩٦٨ م .

(٥) عبد الخالق لاشين (د) سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية .
دار العودة – بيروت سنة ١٩٧٥ م .

(٦) عبد الحميد الكاتب ، قرارات ودراسات عن مصر والمصريين .
كتاب اليوم .

(٧) نبيل عبد الحميد (د) وآخرون ، مصر للمصريين مائة عام على الثورة العرابية .
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام سنة ١٩٨١ م .

(٨) محمد حسين هيكل (د) مذكرات فى السياسة المصرية : الجزء الأول .
دار المعارف سنة ١٩٥١ م .

(٩) ميلاد حنا (د) نعم أقباط ، لكن مصريون .
الناشر مكتبة مدبولى سنة ١٩٨٠ م .

(١٠) نجيب توفيق مصطفى كامل ، أضواء جديدة على حياته .
دار الهلال سنة ١٩٨١ م .

ثالثا : مراجع باللغة الاجنبية

Abbas Hilmi II : Afew worels on the Angol-Egyptian Settlement. London. 1929.

Baron, Firman. Vingt Annees D'Egypte paris. 1932.

Chirol Valentine. The Egyptian Problem. London, 1920.

Elgood, P.G Egypt. London, 1933

Henri Bloch. Le Nil, Vie D'un fleuve ? Pairs, 1937.

Kamel Raouf. Wacyf Ghali, L'Ecrivan. Le Caire. 1960.

Lane. E.W. The Modern Egyptians. London. 1944.

Youssef Aimne (Bey.) Independent Egypt, London. 1940.

رابعا : دوريـات :

أولا : : دوريات معاصرة لأحداث الثورة : أ ـ باللغة العربية :

(وادى النيل ـ جريدة مصر ـ النظام).

الوفد بين مصر وأوربا ـ جمعية النيل الحر ببرلين ـ مارت سنة ١٩٢١ م .

ب ـ باللغة الفرنسية :

L, Egypte Bnllefiod. Bi Mnsuef. I er November. 1920.

ثانيا : الجرائد المصرية :

الأخبار ـ الأهرام ـ الجمهورية .

المصور عدد تذكارى ٥٠ عاما (ثورة ١٩١٩ م.) مارس سنة ١٩٦٩ م .

مجلة أكتوبر ـ جريدة السياسى ج

(٥) عبد الخالق لاشين (د) سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية .
دار العودة – بيروت سنة ١٩٧٥ م .

(٦) عبد الحميد الكاتب ، قرارات ودراسات عن مصر والمصريين .
كتاب اليوم .

(٧) نبيل عبد الحميد (د) وآخرون ، مصر للمصريين مائة عام على الثورة العرابية .
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام سنة ١٩٨١ م .

(٨) محمد حسين هيكل (د) مذكرات فى السياسة المصرية : الجزء الأول .
دار المعارف سنة ١٩٥١ م .

(٩) ميلاد حنا (د) نعم أقباط ، لكن مصريون .
الناشر مكتبة مدبولى سنة ١٩٨٠ م .

(١٠) نجيب توفيق مصطفى كامل ، أضواء جديدة على حياته .
دار الهلال سنة ١٩٨١ م .

ثالثا : مراجع باللغة الاجنبية

Abbas Hilmi II : Afew worels on the Angol-Egyptian Settlement. London. 1929.

Baron, Firman. Vingt Annees D'Egypte paris. 1932.

Chirol Valentine. The Egyptian Problem. London, 1920.

Elgood, P.G Egypt. London, 1933

Henri Bloch. Le Nil, Vie D'un fleuve ? Pairs, 1937.

Kamel Raouf. Wacyf Ghali, L'Ecrivan. Le Caire. 1960.

Lane. E.W. The Modern Egyptians. London. 1944.

Youssef Aimne (Bey.) Independent Egypt, London. 1940.

رابعا : دوريـات :

أولا : : دوريات معاصرة لأحداث الثورة : أ ـ باللغة العربية :

(وادى النيل ـ جريدة مصر ـ النظام).

الوفد بين مصر وأوربا ـ جمعية النيل الحر ببرلين ـ مارت سنة ١٩٢١ م .

ب ـ باللغة الفرنسية :

L, Egypte Bnllefiod. Bi Mnsuef. I er November. 1920.

ثانيا : الجرائد المصرية :

الأخبار ـ الأهرام ـ الجمهورية .

المصور عدد تذكارى ٥٠ عاما (ثورة ١٩١٩ م.) مارس سنة ١٩٦٩ م .

مجلة أكتوبر ـ جريدة السياسى ج